جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

الاعلام ودورة في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير

الدكتور : محمد عزالدين بطروخه

الرياض

1408 هـ - 1987 م

الاعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشبـــاب في مجتمـــع متغـــير

الدكتور محمد عزالدين بطروخه*

ان وسائل الاعلام او الاتصال بالجماهير الواسعة تضع للناس مقاييس بها يعرفون العالم ويحكمون عليه، ثم يتوصلون بأسلوبهم الخاص في التقنيين والتحقيق، ولوسائل الاتصال بالجماهير اساليبها المعينة في الاتصال بنا والتأثير فينا ولكل وسيلة اسلوبها الخاص المتميز في اجراء الاتصال. أما الرسائل التي نتلقاها والكيفية التي بها ننفعل تلقاء هذه الرسائل فأمر يختلف باختلاف وسيلة الاتصال والمجتمع الذي نوجد فيه

وان جميع وسائل الاتصال بالجماهير لتضطلع على نحو او آخر بوظيفتين هما تكوين الرأي العام وارشاده، كما انها تسلي وتبيع، وهاتان الوظيفتان تؤديان بصفة مستمرة وبطريقة مباشرة او غير مباشرة،ويمكن القول بصفة عامة ان هاتين الوظيفتيين تغيبان عن انتباهنا الواعي وهذه من اهم النقاط التي سنتعرض لها فيما بعد.

ولنبدأ اولا بذكر حاجات الشباب في مجتمع متغير والتي تتلخص فيما يلي:-

أولاً: معرفة تاريخ وفلسفة القيم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الذي ينتمون اليه

(*) كلية الآداب. قسم الاعلام. جامعة الملك سعود. الرياض.

ثانياً: الفهم الواعي لعملية التغيير Process of change نفسها بما في ذلك ديناميكية وسيكولوجية التغيير والفرق بين التغيير البناء والتغيير الهدام.
ثالثاً: دراسة التيارات الفكرية المعاصرة والتي قد تؤثر على المعتقدات الأساسية للشباب خيرا او شراً مع الاشارة الى تأثير هذه التيارات على القيم الأساسية للمجتمع الذي نعيش فيه.
رابعاً: مناقشة المشاكل الخاصة بالشباب ودورهم في بناء المجتمع، وأعني بذلك ما تتوقعه الدولة منهم وما يتوقعون هم من الدولة.
خامساً: التسلية والترفيه.

هذه هي النقاط العريضة التي نبدأ الآن في دراستها بشيء من التفصيل:

١ ـ ان من اهم وظائف الاعلام التعريف بتاريخ وفلسفة القيم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع العربي كله، تلك الوظيفة التي تعرف في الغرب باسم بناء الوعي القومي National Consciousness او بناء الأمة Nation Building وهذه الوظيفة من الأهمية بمكان في المجتمعات النامية وهي تركز في المقام الأول على تخطي حدود القبيلة او القرية الصغيرة المحدودة وتطوير الشعور بالانتماء الى الأمة او الدولة كلها، ولا يتأتى هذا الا عن طريق التعريف بالعوامل المشتركة التي تجمع بين القبائل والعشائر والقرى المختلفة، وهذا هو ما يعنيه استاذ الاعلام المعروف ولبرشرام عندما يتحدث عن تحويل شعور المواطن من Micro الى Macro Perspective وطبعا هذا لا يعني اطلاقا القضاء على الأحاسيس القبلية او المحلية او الروابط الأسرية بل التعريف بمساهمة هذه الروابط والمجتمعات في بناء المجتمع الكبير الذي يضم فيما بينها ويوحّد ويصوغ هذه التقاليد ثم يصهرها في قالب قومي واحد ينتمي اليه الجميع.

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الاسلام قد قام بهذه المهمة وركز عليها قبل اختراع الاعلام الحديث، ولعل الآية القرآنية التي تشير الى القضاء على المنافسات والمناحرات القبلية ووحدة الأمة الاسلامية هي خير دليل على ذلك اذ يقول الله عز وجل: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا**﴾ وفي الحديث الشريف «لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى».

ووظيفة الاعلام الحديث في التعريف بتاريخ وفلسفة القيم التاريخية والاسلامية التي يقوم عليها مجتمعنا هي اقصر الطرق لتوحيد الأمة بالمعنى القومي والمعنى الديني وان ترسيخ هذه القيم والمبادىء في اذهان الشباب لهو من اهم وظائف الاعلام وقد فشل الاعلام الحديث للأسف في هذا الصدد حتى اننا نرى الأمة العربية والاسلامية منقسمة على نفسها في حروب ومنازعات وخلافات لا تفيد الا اعداء العروبة والاسلام ولعل اكبر شاهد على ذلك هو ان سياسة اسرائيل الخارجية تعتمد على ثلاثة عوامل على حد تعبير رئيس وزرائها الأسبق دافيد بن جوريون: اولها استمرار التناحر والخلافات في صفوف الأمة العربية وتشجيع النعرات القبلية والمحلية الضيقة: وثانيها احتكار صداقة الولايات المتحدة ومساعدتها لاسرائيل دون سائر بلاد المنطقة، وثالثها عدم المواجهة العسكرية المباشرة مع الاتحاد السوفييتي أو أية دولة اوربية اخرى بدون جر الولايات المتحدة الى جانب تل ابيب.

ولكي يترجم الاعلام هذه الفكرة الى حقيقة عملية يجب ان تركز وسائله على العوامل المشتركة التي توحد صفوف العرب والمسلمين اضافة الى القيم والمبادىء المحلية وان يكون هذا عن طريق برامج تلفزيونية او اذاعية او مقالات صحفية تحلل مدى الارتباط بين القبيلة او البيئة المحلية

والدولة من جهة ثم بين الدولة وسائر الدول العربية والاسلامية من جهة اخرى، ولا اعني ان توجه مثل هذه البرامج الى الشباب عن طريق محاضرات او كتب تاريخية او دينية او فلسفية فقط، اذ ان فعالية هذه البرامج الجادة محدودة بل يجب ان تقدم بطريقة تجذب انتباه المشاهد على غرار البرنامج التلفزيوني الناجح الذي قدمته شبكة الـ N.B.C الأمريكية في العام الماضي والذي عالج تاريخ ودور الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين في الحرب العالمية الثانية بعنوان Winds of War ، ذلك البرنامج الذي شاهده اكثر من ثلاثين مليون امريكي والذي ركز على الروابط التاريخية والفلسفية والدينية المشتركة في المجتمع الغربي ، وقد كشف استطلاعان للرأي العام قبل وبعد البرنامج عن ارتفاع نسبة الوعي بين المشاهدين بدرجة كبيرة وخاصة فيما يتعلق بدرجة التقارب والتشابه بين دول المعسكر الغربي واهمية حلف شمال الأطلسي والوحدة بين اعضائه

٢ ـ ان شرح معنى التغيير الذي تمر به كافة المجتمعات الحديثة وكيف تواجه صعوباته لهو من اهم وظائف وسائل الاعلام وخاصة بالنسبة لجمهور الشباب وحيث ان التغيير هو سنة الحياة او كما قال ارسطو "ان التغيير هو الشيء الوحيد الدائم في الحياة" Change is the only permanent feature of life وبما ان التغيير قد يكون من اهم اسباب القلقلة او الاضطراب في المجتمع فان على وسائل الاعلام ان تناقش وتحلل مقومات التغيير البناء واسبابه وكيف نتفادى ما يعرف في الغرب باسم "Generation Gap" او الفجوة بين الأجيال وان نجاح الاعلام في تحقيق هذه الغاية يقضي على التنافر alienation بين الكبار والشباب ويسهل على كل طائفة فهم شعور وحساسيات الأخرى الأمر الذي يؤدي الى خلق الشعور بالانسجام بين الأجيال المختلفة وطبعا لا نعني بهذا الانسجام القضاء على كافة الفروقات وانما تفهم اسبابها وشعور الآخرين حتى لا تتسع الهوة، ويمكن ان تعالج

هذه الفروقات في برامج تلفزيونية واذاعية توثيقية او فكاهية وفي الولايات المتحدة قامت شبكة C.B.S في السنوات الثلاث الماضية بتقديم واحد من انجح برامجها وهو فكاهية الـ Jeffersons التي مازالت تعرض على شكل مسلسلة اسبوعية والتي تركز على تطلعات وآمال ومشاكل الأجيال المختلفة في العائلة الواحدة، كما قام اخصائي البرامج التوثيقية المعروف Bill Moyers بعمل سلسلة من المقابلات والحوارات مع قادة الرأي في السياسة والاقتصاد والتعليم ورجال الاعمال لتحليل مشكلة التغيير وكان يعقب كل حلقة ساعة من الحوار المباشر على الهواء بين المختصين على الشاشة ومشاهدي البرنامج تليفونيا، ولعل انجح برنامج في هذا المجال هو برنامج Donahue الذي تقدمه شبكة الـ N.B.C. في الساعة التاسعة من صباح كل يوم والذي يركز على مشاكل المرأة وشئون العائلة اليومية في التأقلم والتغلب على صعوبات التغيير ويستضيف البرنامج كل يوم اخصائيا كبيرا يعالج الجديد والمتغير في الطب او الزراعة او العلوم الاجتماعية أو أي موضوع آخر يساعد المشاهد على فهم وتحليل ما يجري حوله من تغييرات سريعة

ولعل دور وسائل الاعلام هنا في المملكة العربية السعودية وفي هذا المجال بالذات وفي الفترة الحالية لهو من اهم وظائف وسائل الاعلام إذ أن الطفرة الكبرى التي نراها ونلمسها يوميا تمثل تغييرا هائلا يحتاج الى التحليل والتعليق والشرح الكثير.

ويجب ان نأخذ في عين الاعتبار هنا ان تقبل التغيير ليس بالسهل على الطبيعة البشرية بل ان علماء النفس يجمعون على ان تغيير الميول والعادات للتكيف مع التطورات الحديثة لا يمكن ان يتم الا عبر أجيال طويلة ووسائل الاعلام هنا ليست الا عاملا مساعدا، أما العامل الأساسي فيكمن في محيط الأسرة والمدرسة لهذا وحتى تتم العملية بنجاح يجب ان يوجه الاعلام

اهتمامه الى الأب والأم والمدرس والذين هم بدورهم يؤثرون على النشء بطريقة مباشرة وفعالة.

٣ ـ تشكل التيارات الفكرية المعاصرة عاملا من اهم العوامل التي تؤثر في حياة الشباب في مجتمع متغير وتأثير مثل هذه التيارات والمعتقدات الحديثة ضعيف نسبيا على الشيوخ والكبار الذين رسخت افكارهم وعاداتهم ووسائل الاعلام وخاصة السينما والتلفزيون فعالة جدا في نقل اخر تطورات التقاليع والعادات مما يدفع الشباب الى قبولها وتقليد غيرهم في الملبس والحديث والسلوك الاجتماعي فمثلا الهيبز والروك آند رول والكوميونز Communes واطفال الزهور Flower children التي انتشرت في العالم خلال الستينيات وأوائل السبعينيات وفي الدول النامية وخاصة تلك التي تحافظ على تقاليد دينية او اجتماعية تعارض مثل هذه التيارات، في مثل هذه الدول يتعين على وسائل الاعلام ان تشرح وتحلل هذه التيارات الفكرية والاجتماعية ومدى تعارضها او انسجامها مع تقاليد وقيم مجتمعاتها بدون اللجوء الى اسلوب التنفير الممل بمعنى ان يكون العرض والتحليل موضوعيين ومتوازنين وان يكون الدرس المستقى من البرنامج واضحا من سياق العرض او التمثيلية متفاديا الشعارات والعبارات الرنانة والأمثلة القديمة، ويحضرني بهذه المناسبة برنامج عن انتشار المخدرات بين شباب الجامعات في الولايات المتحدة قدمته شبكة تلفزيون الـ .A.B.C واكثر ما استرعى انتباهي هو ان ضرر المخدرات قد اتى ذكره على لسان المدمنين انفسهم واهلهم ولم يأت عن طريق موعظة من مسئول كبير او خبير مسن، وفعالية مثل هذه الطريقة هي ان الشباب الذين يشاهدون البرنامج يتقبلون ما يسمعونه من زملائهم على الشاشة اكثر من تقبلهم لنفس الكلام من اشخاص يكبرونهم سنا او خبرة إذ أن ما يعرف باسم الـ Peer group او جماعة الرفاق لها اكبر التأثير على الشباب.

وفي العالم العربي خاصة ودول العالم الثالث عامة يجب أن يولي الاعلام هذه المهمة عناية خاصة إذ أن مرحلة النهوض ومسايرة ركب الحضارة قد يجر معه مشاكل ومعتقدات غريبة يجب ان تتصدى لها وسائل الاعلام وتميز الغث من السمين فيها حتى لا ينساق شبابنا وراء التقليد الأعمى الذي قد يفسد من قيمه وتقاليده الطيبة، ويجب ان نشير في هذا المجال الى المناقشات التي دارت ولا تزال تدور في اروقة اليونسكو حول الاستعمار الثقافي والغزو الاعلامي الذي تعاني منه الدول النامية والذي تفرضه عليها الدول الغربية المتقدمة ولا يمكن محاربة هذا الاستعمار ـ في نظري ـ الا عن طريق التصدي لهذه الغزوات الثقافية وشرح ابعادها وقبول الايجابي منها ورفض السلبي وقد اثبتت التجارب ان الرقابة والتشويش وغيرهما لا يمكن ان تحل المشكلة وانما المعالجة الموضوعية والمناقشة الفعالة اجدى بكثير من الأساليب القديمة ونحن نعلم ـ على سبيل المثال ـ انه رغم الرقابة الشديدة والتشويش الذي يقوم به الاتحاد السوفييتي ضد وسائل الاعلام الغربية فان العادات الغربية والملابس والبرامج التي تأتي من الولايات المتحدة لها شعبية كبيرة في الدول الشيوعية اذ ان كل ما هو ممنوع مرغوب، فعلينا ان نستوعب العبرة من هذه التجربة والا تخفي وسائل اعلامنا ما يجري حولنا وتدفن رأسها في الرمال كالنعامة بل تذكرها وتشرحها ثم تتصدى لها بطريقة شيقة ومسلية تجذب الشباب الى البرنامج وتجعل تقبله للرسالة ممكنا بل ومحتملا.

٤ ـ ان اكثر ما يهتم به الانسان هو ما يخص حياته الشخصية لهذا فان تركيز وسائل الاعلام على المسائل الدولية والقومية الكبرى على مافي ذلك من فائدة عامة الا انه اذا لم يركز الاعلام على العلاقة بين المشكلة الكبرى المطروحة للبحث والتحليل وحياة المشاهد او المستمع أو القارىء فلن يكون هناك اثر كبير للبرنامج او المقال، والدليل على ذلك ان الشعب الأمريكي لم يلق اهتماما كبيرا للحرب الفيتنامية في مراحلها الأولى وبدأ اهتمام الناس

يتزايد عندما ادركوا احتمال تأثير هذه الحرب على حياتهم اليومية وحيث ان الشباب يمثل اكبر شريحة في المجتمع، لهذا يجب على وسائل الاعلام ان تعالج المشاكل القومية من وجهة نظر هذه الشريحة الكبرى وتحلل تأثيرها على حياتهم اليومية، ومستقبلهم، والاعلام في الدول النامية يعاني من غياب هذا التحليل الواقعي، وكثيرا ما يلجأ الى الشعارات والعبارات الرنانة ويهمل العلاقة الخاصة بين المشكلة الكبرى وما يواجهه الشباب في حياتهم العملية والاجتماعية والشخصية

٥ ـ تعتبر وظيفة التسلية والترفيه من اهم ما يجذب الشباب الى وسائل الاعلام وخاصة في البرامج التلفزيونية والاذاعية وتدل الاحصائيات الأمريكية التي قامت بها لجنة الاتصال الفيدرالية على أن اكثر س ٨٧٪ من محتويات هذه البرامج تدخل ضمن نطاق التسلية والترفيه ولهذا يجب ان نوجه عناية خاصة الى محتويات هذه البرامج وخاصة فيما يتعلق بتأثيرها على قيم وسلوك الشباب، وتدل الدراسات العلمية على ان تأثير وسائل الاتصال اكثر فعالية في تأكيد وتثبيت المعتقدات والقيم التي يؤمن بها المشاهد اكثر بكثير من فعاليتها في التغيير السلوكي ولهذه الحقيقة اهمية خاصة في المجتمعات النامية اذ ان المحافظة على القيم التاريخية والدينية في خضم عملية التغيير الذي يواكب الانتقال من مرحلة النمو الى مرحلة التقدم هي أمر حيوي لهذه المجتمعات.